المسائل العقدية في مرويات وفد نجران

عبد الرحيم بن صمايل بن صويمل السلمي [1]

الملخّص

وفد نجران أحد الوفود التي قدمت إلى النبي ﷺ، ومروياته مشهورة في كتب السنة، والمغازي، وأسباب النزول، وقد رويت بأسانيد مرسلة، وهي صحيحة إلى من أرسلها، والأحداث المستفيضة في المغازي تثبت بالاشتهار والاستفاضة حتى لو كان في أسانيدها إرسال أو جهالة، وهذا ما حصل في مرويات وفد نجران.وقد تضمنت المرويات مسائل عقدية متنوعة منها: أن الإقرار الخبري لا يكفي في ثبوت الإسلام دون التزام بالعمل، وهذا أصل في باب الإيمان، وبيان كفر النصارى، وأنهم لا يعتبرون مسلمين لتحقق الكفر والشرك فيهم، كما تضمنت مجادلة النصارى في العقيدة والتوحيد، وهذه المجادلة توجد مضامينها في صدر سورة آل عمران، وفيها طلب المباهلة لمنكري الحق، كما تضمنت المرويات مناقب الصحابة الكرام، وخاصة أبو عبيدة بن الجراح الموصوف في الروايات بالأمين، وتضمنت أيضاً ثبوت النبوة حيث بشرت به كتب أهل الكتاب، ولهذا فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولما طلب منهم " المباهلة " رفضوها مما يدل على معرفتهم به، ولكن غلّبوا الامتيازات الدنيوية على الاخرة، كما ورد في بعض الروايات مسائل تتعلق بالتوحيد والقدر.

الكلمات المفتاحية: المسائل، العقدية، وفد، نجران.

[1] الأستاذ المشارك بقسم العقيدة، بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى. < assolami@uqu.edu.sa >

Doctrinal issues in the narratives of the delegation of Najran

Abd al-Rahim bin Samayel bin Suwaimel al-Salami [2]

Abstract

Najran delegation is one of the many delegations came to visit the prophet (Peace be upon him). The narrations of this incident are famous in the books of Sunnah, battles and the books which covers the cause of revelation’s descend. The narrations of this incident happened to be narrated by Tabi’ie (a person who saw the companions but not the prophet), such narration is entitled to be Mur’sul and -in this case- is considered as authentic, because, for the narration to be well reputed and largely spread is a sufficient reason to validate its authenticity, regardless the slightest issues it may encounter such as Irsaal or Jahalah and this was the case with Najran delegation narrations.Najran delegation narrations contain variety of issues like for one to be a Muslim, the verbal acknowledgement is not sufficient without actual commitment to acting. This is a basic point when it comes to faith also when it comes to clarify the disbelief of the Christians and to indicate that Christian is not considered to be Muslims due to the factor of disbelief and polytheism. They also include arguing with Christian about creed and monotheism, the content of this argument is available in the beginning of Surah Al-Emran. The narrations also indicate Appealing to Mopahalah with they who deny the truth. Likewise, they demonstrate the noble characteristics of the prophet’s companions in general and Abu Ubaidah bin Aljarah in particular by showing that he was described as the trust-worthy. Moreover, the narrations as well talk about the truthfulness of the prophethood of Mohammad -may Allah exalt his mention- the prophet who is mentioned in the scriptures of the people of the book so as result they know him typically as they know their children. Hence, because they know the truthfulness of his prophecy, they refused to make Mobahalah with him, they simply preferred the privileges of this life and ignored the hereafter as precisely shown in the narrations which indicate the issues of destiny and monotheism.

Keywords: Subject - Streptococcus - delegation - Najran.

[2] Dr.of Da`wah and Fundamentals of Religion-UmmAl-Qura University < assolami@uqu.edu.sa >

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مرويات السيرة النبوية إحدى المجالات العلمية للدراسات العقدية، فقد كانت حياة الرسول ﷺ تطبيقًا عمليًّا للإسلام عقيدة وشريعة، وهذا أحد المعاني التي يدل عليها قول عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"[3]، والقرآن يتضمن العقيدة، والعبادة، والآداب وسائر شؤون الحياة.

ومن أحداث السيرة النبوية المشتملة على عدد ثري من القضايا العقدية: أخبار الوفود التي قدمت على النبي ﷺ في العام التاسع من الهجرة، وقد تجاوز عددها الستين وفدًا، ومن هذه الوفود: وفد نجران، وتعود أهمية هذا الوفد لكونه أول وفد للنصارى من أهل الكتاب يلتقي الرسول ﷺ، ونزل فيهم ما يقارب ثمانين آية في صدر سورة آل عمران، وحصل بينهم وبينه حجاج وجدال.

وقد تضمنت مرويات وفد نجران طائفة من المسائل العقدية الهامة في التوحيد، والإيمان، ومناقب الصحابة، ودلائل النبوة، ومجادلة أهل الكتاب ونحوها.

ولهذا رأيت جمع الروايات المتعلقة بهذا الوفد من كتب السنة، والمغازي، والتفسير، واستخراج القضايا العقدية منها، وبيان ما يتعلق بها من الفوائد بشكل مختصر يتناسب مع بحث غير موسع.

أهمية البحث:

تبدو أهمية البحث من جهة أن السيرة النبوية هي التطبيق العملي للدين، وفيها يتجلَّى الالتزام العقدي بالوحي، والوفود ظاهرة مميزة في التاريخ النبوي، وفيها أحداث ثرية تدعو إلى التأمل والتفقه والتعلم منها، وفي وفد نجران خاصة تبين منهج التعامل النبوي مع النصارى، وظهر فيها حوار ومجادلة عقدية بين النبي الكريم وعلماء الوفد، وهي تستحق أن يستخرج الباحث ما فيها من معان ودلالات عقدية ودينية.

أهداف البحث:

- التعرُّف على روايات وفد نجران وصحة الأحداث الواردة فيها.
- استخراج المسائل العقدية في أحداث الوفد.
- تصنيف ودراسة المسائل العقدية والدلالات المأخوذة من روايات الوفد بإيجاز.

[3] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، رقم24601، ج41، ص148-149. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، **شرح مشكل الآثار**، رقم4434، ج11، ص265

مشكلة البحث:

تتضارب اليوم الآراء في الموقف الشرعي من النصارى، ومنهج الحوار والجدال معهم، والباحث الشرعي يعتمد في المواقف والآراء على المنهج النبوي، وقد لقي النبي الكريم وفداً من النصارى، ونزل فيهم صدر سورة آل عمران، وفيها بيان المنهج، ومن خلاله ينكشف الموقف الصحيح من غيره.

منهج البحث: يعتمد البحث على مجموعة من المناهج البحثية، وهي **المنهج التوثيقي الوصفي** وذلك بمعرفة الروايات الواردة في الوفد من كتب السنة والآثار، والسير، والتفسير وغيرها، **والمنهج التحليلي الاستنباطي** وذلك باستخراج المسائل العقدية، ومعرفة الدلالات الماخوذة منها، **والمنهج الحواري النقدي** بالإشارة إلى الأفهام الخاطئة التي تعاملت مع هذه المسائل ونقدها.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة جمعت روايات وفد نجران، واستخرجت المسائل العقدية، وصنفتها، وناقشتها.

تمهيد:

الوفد يعود جذره اللغوي إلى (وَفَدَ)، وهذه المادة هي "أصل صحيح يدل على إشراف وطلوع"[4]، والوفد جمعه وفود، وأوفاد، وهم القوم الوافدون[5]، وواحد الوفد: وافد، يقال: وفد فلان على الأمير إذا ورد رسولاً، والاسم من الوافد: الوفادة [6].وعلى هذا المعنى جاءت تعريفات العلماء للوفد، فقال الخليل بن أحمد "هو الذي يفد عن قوم **إلى ملك، في فتح، أو قضية، أو أمر**"[7]، **وقال النووي: "الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء"**[8].

ويستعمل لفظ الوفد في الإكرام، ولهذا وصف الله به المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم:85] وعليه: فالوفد هم مجموعة من الناس –وقد يكون فرداً واحداً– يفدون إلى غيرهم لأهداف معينة، سواء كانت للعلم والمعرفة، أو لطلب عطايا وأموال، أو لتفاوض على أمر

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، **مقاييس اللغة**، ج6، ص129.
[5] ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، **جمهرة اللغة**، ج6، ص674.
[6] ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح**، ج2، ص553.
[7] الفراهيدي، الخليل بن أحمد البصري، **العين**، ج8، ص80.
[8] ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج1، ص130.

من الأمور، وهذا المعنى ينطبق على الوفود التي جاءت إلى النبي ﷺ، ومنها وفد نجران.وعامة الوفود التي قدمت على النبي ﷺ كانت من قبائل العرب التي كانت تدين بالشرك والوثنية، ولم تكن من أهل الكتاب، أما أهل الكتاب فإنهم كانوا ينتظرون ظهور النبي ﷺ، وكانوا يظنونه منهم، ولما أرسل النبي ﷺ رسله إلى الملوك تعامل معها النصارى بطريقة حسنة من جهة التعامل وإن لم يؤمنوا، بينما كان تعامل المشركين كمجوس فارس فظًّا سيئاً، فقام كسرى بتمزيق كتابه، ولهذا دعا على كسرى بتمزيق ملكه فمزَّقه الله تعالى[9].وقد قدم على النبي ﷺ وفد من النصارى قبل وفد نجران، وهو " وفد النجاشي"، يبلغ بإسلامه، ومعه بعض الصحابة الذين طلب النبي ﷺ قدومهم، فقدموا عام خيبر[10]، وقد كتب النجاشي بتصديق الرسول ﷺ، والإيمان به، والاستجابة لدعوته، والدخول في الإسلام[11]، وكان النجاشي قبل إسلامه على دين عيسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل، وهو من الفرقة الآريوسية الموحدة. [12]

المبحث الأول: مرويات وفد نجران

المطلب الأول: روايات الوفد في كتب السنة النبوية

أصل روايات وفد نجران ثابتة في الصحيحين والسنن، فقد روى البخاري في كتاب المغازي، باب قصة وفد نجران، قال: حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ الحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ[13]، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا

---

[9] ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، **دلائل النبوة**، باب ما جاء في بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه إلى قيصر وهو هرقل ملك الروم، وما جرى في سؤاله أبا سفيان بن حرب عن أحوال النبي ﷺ، وما ظهر في ذلك وفيما رأى قيصر في منامه من آثار النبوة ودلالات الصدق على رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، ج4، ص377-386. باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس، ج4، ص395-395. باب ما جاء في بعث رسول الله ﷺ إلى كسرى بن هرمز، وكتابه إليه، ودعائه عند تمزيق كتابه عليه، وإجابة الله تعالى دعاءه وتصديقه قوله في هلاكه وهلاك جنوده، وفتح كنوزه، ج4، ص387-389.

[10] ينظر: ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج2، ص359. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني، **أسد الغابة**، ج1، ص189.

[11] ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، **دلائل النبوة**، -مقدمة الكتاب- ج1، ص30.

[12] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **هداية الحيارى**، ص383.

[13] السيد: اسمه الأيهم، ويقال شرحبيل، وكان صاحب رحالهم، ومجتمعهم، ورئيسهم، أما العاقب: فاسمه عبد المسيح وكان صاحب مشورتهم. ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج9، ص529.

مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّانُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»"[14].وروي من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة عن (ابن مسعود) بدل (حذيفة) [15].وروى مسلم من حديث أنس، بلفظ (أهل اليمن) بدل (أهل نجران)، قال: "حَدَّثَنِي عَمْرٌو النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ وَهُوَ ابْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»[16]. وله شاهد من حديث عمر عند الحاكم، قال: "حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ عَفَّانَ، ثنا أَبُو أُسَامَةَ، ثنا عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُمْ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: مَا تَعَرَّضْتُ لِلْإِمَارَةِ وَمَا أَحْبَبْتُهَا غَيْرَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَكَوْا إِلَيْهِ عَامِلَهُمْ، فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمِينَ» ، قَالَ عُمَرُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ تَطَاوَلَ رَجَاءَ أَنْ يَبْعَثَنِي، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ".[17]

وأخرج الترمذي، والحاكم، من طريق قتيبة بن سعيد، حدثنا ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه؛ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا

[14] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، رقم4363، 4364، ص909. مسلم، مسلم ابن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، ذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم2502، ص1162. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، **صحيح ابن حبان**، رقم7000، ج15، ص461-462. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، كتاب المناقب، مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأُبَيّ بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح، رقم4148، ص1137. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **السنن الكبرى**، كتاب المناقب، مناقب أبو عبيدة ابن الجراح، رقم8338، ج10، ص219. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **السنن**، باب اتِّباع سنة رسول الله ﷺ، فضل أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، رقم135، ص41. ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، **المصنف**، كتاب الفضائل، فضل أبي عبيدة رضي الله عنه، رقم34472، ج18، ص132.

[15] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم3930، ج7، ص45-46. النسائي، أحمد ابن شعيب ابن علي، **السنن الكبرى**، كتاب المناقب، مناقب أبو عبيدة بن الجراح، رقم8337، ج10، ص218. الطحاوي، أحمد ابن محمد بن سلامة، **شرح مشكل الآثار**، رقم2511، ج6، ص320-321.

[16] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، ذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم1/2501، ص1162. قال الحافظ ابن حجر: "ووقع في حديث أنس عند مسلم: إن أهل اليمن قدموا على النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا السنة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة، وقال: هذا أمين هذه الأمة. فإن كان الراوي تجوز عن أهل نجران بقوله: أهل اليمن لقرب نجران من اليمن، وإلا فهما واقعتان والأول أرجح، والله أعلم". العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج7، ص94.

[17] الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، رقم5244، ج5، ص560. وقال: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرِّجاه". ووافقه الذهبي.

﴿وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران:61]؛ دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللهم هؤلاء أهلي".[18] وبهذا يتبين أن مرويات وفد نجران ثابتة عن أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم: حذيفة بن اليمان، وأنس بن مالك، وعمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص ﷺ أجمعين. وقصة الوفد رواها أهل السير والمغازي، وتواطئوا على نقلها وروايتها، وهذه الروايات وإن كان كثير منها مراسيل عن بعض التابعين إلا أنها تدل مع كثرتها وتعدد مخارجها على ثبوتها، فإذا أخذنا أفراد المراسيل فقد يظن الباحث أنها لا تصح، ولكن عندما ننظر إلى هذا التواطؤ، وكثرة من ثبتت الرواية إليه من التابعين في قصة الوفد يتبين أنه لا يمكن أن يحصل ذلك دون أن تكون القصة وأحداثها ثابتة ثبوتاً لا ريب فيها.

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وأما النصارى فإن أهل نجران التي باليمن كانوا نصارى، فقدم عليه وفدهم ستون راكبا وناظرهم في مسجده، وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران، ولما ظهرت حجته عليهم، وتبين لهم أنه رسول الله إليهم، أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلى المباهلة فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:61]، فلما دعاهم إلى المباهلة طالبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا فاشتوروا، فقال بعضهم لبعض: تعلمون أنه نبي، وأنه ما باهل قوم نبيا إلا نزل بهم العذاب، فاستعفوا من المباهلة، فصالحوه، وأقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون، لما خافوا من دعائه عليهم، لعلمهم أنه نبي، فدخلوا تحت حكمه، كما يدخل أهل الذمة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله، وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون، وهم أول من أدى الجزية من النصارى.

واستعمل عليهم وعلى من أسلم منهم عمرو بن حزم الأنصاري، وكتب له كتابا مشهورا، يذكر فيه شرائع الدين، فكانوا في ذمة المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونائب رسوله عمرو بن حزم الأنصاري ﷺ، **وقصتهم مشهورة متواترة، نقلها أهل السير، وأهل الحديث، وأهل الفقه، وأصل حديثهم معروف في الصحاح والسنن،** كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

[18] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، سورة آل عمران، رقم3262، ص907.

وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح". الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ومن مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ، رقم4767، 4778 ج5، ص365، ص370-371. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرّجاه"، ووافقه الذهبي. وهو وهم؛ فإن البخاري لم يخرج لبكير بن مسمار، وإنما هو من رجال مسلم؛ فهو على شرط مسلم، والله أعلم.

ووفد نجران لما قدموا أنزل الله تبارك وتعالى بسبب ما جرى صدر سورة آل عمران، وذكر تعالى فرض الحج بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:97]، وهذا نزل إما سنة تسع وإما سنة عشر، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء، منهم: القاضي أبو يعلى، وغيره؛ قالوا وجوب الحج ثبت بقوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:97]" [19]

المطلب الثاني: روايات الوفد في كتب التفسير

وقد نقلت القصة في عدد من الآثار، ومنها:

ما رواه الطبري؛ قال: "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ،** قَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران:59] "وَذَلِكَ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ فِيهِمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ، فَقَالُوا لِمُحَمَّدٍ: مَا شَأْنُكَ تَذْكُرُ صَاحِبَنَا؟ فَقَالَ: «مَنْ هُوَ؟» قَالُوا: عِيسَى، تَزْعُمُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: «أَجَلْ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ» قَالُوا لَهُ: فَهَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ عِيسَى أَوْ أُنْبِئْتَ بِهِ؟ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ بِأَمْرِ رَبِّنَا السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِذَا أَتَوْكَ ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ**﴾ [آل عمران:59] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[20].وروى ابن أبي حاتم، قال: "حدثنا أبي، ثنا أبو سلمة، ثنا مبارك قال: سمعت الحسن قال: أتى رسول الله ﷺ راهبا من نجران فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربُّه؛ فنزل عليه: ﴿**ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ**﴾ إلى قوله: ﴿**مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران: 58-60]"[21].وروى الطبري، قال: "حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ **قَتَادَةَ،** قَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران:59] " ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَيِّدَيْ أَهْلِ نَجْرَانَ وَأُسْقُفَيْهِمُ السَّيِّدَ وَالْعَاقِبَ، لَقِيَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَاهُ عَنْ عِيسَى فَقَالَا: كُلُّ آدَمِيٍّ لَهُ أَبٌ

---

[19] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج1، ص169-170.

[20] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص460.

[21] ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص664.

فَمَا شَأْنُ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ ": ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:59]"[22].

وروى ابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة في "المصنف"، وسعيد بن منصور في "سننه"، وابن جرير، من طريق هشيم وشعبة وجرير بن عبد الحميد ثلاثتهم عن المغيرة عن **الشعبي**: "لما عرض رسول الله ﷺ الملاعنة على أهل نجران؛ قَبِلَ ذلك منه السَّيِّدُ والعاقبُ، فرجعا إلى رجل منهم كان نجيًّا، فقال لهما: ما صنعتما شيئًا، والله لئن كان نبيًّا؛ لا يعصيه الله فيكم، وإن كان ملكًا؛ ليستبدلنكم، فقالا له: ما ترى؟ قال: أرى أن تغدوا؛ فإنه يغدو لميعادكما، فإذا غدا عليكما؛ فإنه سيعرض عليكما الملاعنة، فإذا عرض ذلك عليكما؛ فقولا له: نعوذ بالله. وغديا وغدا رسول الله ﷺ آخذ بيد حسن، وحسين يتبعه، وفاطمة تمشي من خلفه، فقال لهما: "هل لكما في الأمر الذي انطلقتما عليه من الملاعنة؟ "، فقالا: نعوذ بالله، قال: فردد ذلك عليهما، فقالا: نعوذ بالله -مرتين، أو ثلاثاً-، فقال لهما: "هل لكما في الإسلام أن تسلما ويكون لكما ما للمسلمين وعليكما ما على المسلمين؟"؛ فلم يقبلا ذلك وكرهاه، فقال لهما: "هل لكما في الجزية تؤديانها وأنتم صاغرون؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ"؛ فقبلا ذلك، وقالا: لا طاقة لنا بحرب العرب[23].

وروى عبد بن حميد عن الأزرق بن قيس، من طريق روح بن عبادة، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن **الأزرق بن قيس**، به، وهو مرسل. عن الأزرق بن قيس؛ قال: جاء أسقف نجران والعاقب إلى رسول الله ﷺ؛ فعرض عليهما الإسلام، فقالا: قد كنا مسلمين قبلك، فقال: "كذبتما؛ منع الإسلام منكما ثلاث: قولكما: اتخذ الله ولداً، وسجودكما للصليب، وأكلكما لحم الخنزير"، قالا: فمن أبو عيسى؟ فلم يرد عليهما؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران:59][24].

---

[22] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص460. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **العجاب في بيان الأسباب**، ج2، ص379. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج2، ص228. من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به، ورجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

[23] ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص310. ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، **المصنف**، رقم34357، ج18، ص95. رقم39791، ج21، ص123. سعيد بن منصور، **سنن سعيد بن منصور**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، رقم3474، ج3، ص123-124. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص469. وهذا مرسل صحيح الإسناد، وأما ما يخشى من تدليس المغيرة؛ فشعبة لا يروي عن مشايخه المدلسين إلا ما هو مسموع لهم كما هو معروف. السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر بن محمد، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج2، ص232. وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي نعيم.

[24] ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **العجاب في بيان الأسباب**، ج2، ص679. ورجاله ثقات؛ لكنه مرسل. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج2، ص229. وزاد نسبته لابن سعد.

وروى ابن أبي شيبة، قال: "حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَسْقُفِ نَجْرَانَ: "يَا أَبَا الْحَارِثِ أَسْلِمْ فَقَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ قَالَ: يَا أَبَا الْحَارِثِ أَسْلِمْ قَالَ: قَدْ أَسْلَمْتُ قَبْلَكَ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "كَذَبْتَ مَنَعَكَ مِنَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ: ادِّعَاؤُكَ لِلَّهِ وَلَدًا وَأَكْلُكَ الْخِنْزِيرَ وَشُرْبُكَ الْخَمْرَ"[25].

فهذه الآثار ثابتة إلى من نقلت عنه من التابعين، ثم حصل الإرسال بعد ذلك، ولا يمكن أن تثبت عن عدد من التابعين ولا يعضد بعضها بعضاً، وهكذا روايات أسباب النزول. وقد اتفق المفسرون على أن وفد نجران نزلت فيهم آيات سورة آل عمران في عيسى بن مريم عليه السلام، وفي المباهلة، و حكى الرازي إجماع المفسرين على ذلك، فقال: " ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:59]، أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت عند حضور وفد نجران على الرسول ﷺ"[26]. وكذا حكى الخازن الإجماع فقال: "أجمع أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران"[27]. ويقول ابن تيمية: " وآية المباهلة قد علم يقينا أنها نزلت في قصة قدوم وفد نجران والمفسرون وأهل السير ذكروا أن آل عمران نزلت بسبب مناظرة أهل نجران" [28]. ويقول ابن تيمية: "من المتواتر أن نصارى نجران قدموا على النبي ﷺ، ودعاهم إلى المباهلة المذكورة في سورة آل عمران، فأقروا بالجزية ولم يباهلوه، وصدر آل عمران نزل بسبب ما جرى؛ ولهذا عامتها في أمر المسيح"[29].

المطلب الثالث: روايات الوفد في كتب السير والمغازي

قَالَ اِبْن إِسْحَاق: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن جَعْفَر بْن الزُّبَيْر قَالَ: قَدِمُوا عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ الْمَدِينَة فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِده حِين صَلَّى الْعَصْر عَلَيْهِمْ ثِيَاب الْحِبَرَات جُبَب وَأَرْدِيَة مِنْ جَمَال رِجَال بَنِي الْحَارِث بْن كَعْب قَالَ: يَقُول مَنْ رَآهُمْ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ ﷺ مَا رَأَيْنَا بَعْدهمْ وَفْدًا مِثْلهمْ وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتهمْ فَقَامُوا فِي مَسْجِد رَسُول اللَّه ﷺ فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: "دَعُوهُمْ" فَصَلَّوْا إِلَى الْمَشْرِق.

---

[25] ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، **المصنف**، رقم39797، ج21، ص126.
[26] الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص242.
[27] الخازن، علاء الدين علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج1، 253.
[28] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج1، ص207.
[29] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **مجموع الفتاوى**، ج17، ص377.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَتْ تَسْمِيَةُ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ، الَّذِينَ يَئُولُ إِلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ: الْعَاقِبُ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ وَهُوَ الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ أَخُو بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَأَوْسٌ، وَالْحَارِثُ، وَزَيْدٌ، وَقَيْسٌ، وَيَزِيدُ، وَنَبِيُّهُ، وَخُوَيْلِدٌ، وَعَمْرو، وَخَالِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَيُحَنَّسُ، فِي سِتِّينَ رَاكِبًا.

قَالَ: فَكَلَّمَ رَسُول اللَّه ﷺ مِنْهُمْ أَبُو حَارِثَة بْن عَلْقَمَة وَالْعَاقِب عَبْد الْمَسِيح وَالسَّيِّد الْأَيْهَم وَهُمْ مِنْ النَّصْرَانِيَّة عَلَى دِين الْمَلِك مَعَ اِخْتِلَاف أَمْرهمْ يَقُولُونَ: هُوَ اللَّه وَيَقُولُونَ: هُوَ وَلَد اللَّه وَيَقُولُونَ: هُوَ ثَالِث ثَلَاثَة تَعَالَى اللَّه عَنْ قَوْلهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَكَذَلِكَ النَّصْرَانِيَّة فَهُمْ يَحْتَجُّونَ فِي قَوْلهمْ هُوَ اللَّه بِأَنَّهُ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَيُبْرِئ الْأَكْمَه وَالْأَبْرَص وَالْأَسْقَام وَيُخْبِر بِالْغُيُوبِ وَيَخْلُق مِنْ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْر فَيَنْفُخ فِيهِ فَيَكُون طَيْرًا وَذَلِكَ كُلّه بِأَمْرِ اللَّه وَلِيَجْعَلهُ اللَّه آيَة لِلنَّاسِ وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلهمْ بِأَنَّهُ اِبْن اللَّه يَقُولُون: لَمْ يَكُنْ لَهُ أَب يُعْلَم وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْد بِشَيْءٍ لَمْ يَصْنَعهُ أَحَد مِنْ بَنِي آدَم قَبْله. وَيَحْتَجُّونَ عَلَى قَوْلهمْ بِأَنَّهُ ثَالِث ثَلَاثَة بِقَوْلِ اللَّه تَعَالَى فَعَلْنَا وَأَمَرْنَا وَخَلَقْنَا وَقَضَيْنَا فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا فَعَلْت وَأَمَرْت وَقَضَيْت وَخَلَقْت وَلَكِنَّهُ هُوَ وَعِيسَى وَمَرْيَم -تَعَالَى اللَّه وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهْ عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا- وَفِي كُلّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلهمْ قَدْ نَزَلَ الْقُرْآن. فَلَمَّا كَلَّمَهُ الْحَبْرَانِ قَالَ لَهُمَا رَسُول اللَّه " أَسْلِمَا" قَالَا قَدْ أَسْلَمْنَا قَالَ "إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا فَأَسْلِمَا" قَالَا: بَلَى قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلك قَالَ: "كَذَبْتُمَا يَمْنَعكُمَا مِنْ الْإِسْلَام دِّعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا وَعِبَادَتكُمَا الصَّلِيب وَأَكْلكُمَا الْخِنْزِير"، قَالَا: فَمَنْ أَبُوهُ يَا مُحَمَّد؟ فَصَمَتَ رَسُول اللَّه ﷺ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّه فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلهمْ وَاخْتِلَاف أَمْرهمْ صَدْر سُورَة آل عِمْرَان إِلَى بِضْع وَثَمَانِينَ آيَة مِنْهَا".

ثُمَّ تَكَلَّمَ اِبْن إِسْحَاق عَلَى تَفْسِيرهَا إِلَى أَنْ قَالَ: "فَلَمَّا أَتَى رَسُول اللَّه ﷺ الْخَبَر مِنْ اللَّه وَالْفَصْل مِنْ الْقَضَاء بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَأُمِرَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتهمْ أَنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِم دَعْنَا نَنْظُر فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيك بِمَا نُرِيد أَنْ نَفْعَل فِيمَا دَعَوْتنَا إِلَيْهِ ثُمَّ اِنْصَرَفُوا عَنْهُ ثُمَّ خَلَوْا بِالْعَاقِبِ وَكَانَ ذَا رَأْيهمْ فَقَالُوا: يَا عَبْد الْمَسِيح مَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ: وَاَللَّه يَا مَعْشَر النَّصَارَى لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيّ مُرْسَل وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَبَر صَاحِبكُمْ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْم نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرهمْ وَلَا نَبَتَ صَغِيرهمْ وَإِنَّهُ لِلِاسْتِئْصَالِ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينكُمْ وَالْإِقَامَة عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْقَوْل فِي صَاحِبكُمْ فَوَادِعُوا الرَّجُل وَانْصَرِفُوا إِلَى بِلَادكُمْ. فَأَتَوْا النَّبِيّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِم قَدْ رَأَيْنَا أَنْ لَا نُلَاعِنك وَنَتْرُكك عَلَى دِينك وَنَرْجِع عَلَى دِيننَا وَلَكِنْ اِبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابك تَرْضَاهُ لَنَا يَحْكُم بَيْننَا فِي أَشْيَاء اِخْتَلَفْنَا فِيهَا فِي أَمْوَالنَا فَإِنَّكُمْ عِنْدنَا رِضَا. قَالَ مُحَمَّد بْن جَعْفَر : فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ:

"اِئْتُونِي الْعَشِيَّة أَبْعَث مَعَكُمْ الْقَوِيّ الْأَمِين" فَكَانَ عُمَر بْن الْخَطَّاب ﷺ يَقُول: مَا أَحْبَبْت الْإِمَارَة قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يَوْمئِذٍ رَجَاء أَنْ أَكُون صَاحِبهَا فَرُحْت إِلَى الظُّهْر مُهَجِّرًا فَلَمَّا صَلَّى رَسُول الله ﷺ الظُّهْر سَلَّمَ ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينه وَشِمَاله فَجَعَلْت أَتَطَاوَل لَهُ لِيَرَانِي فَلَمْ يَزَلْ يَلْتَمِس بِبَصَرِهِ حَتَّى رَأَى أَبَا عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح فَدَعَاهُ فَقَالَ: "اُخْرُجْ مَعَهُمْ فَاقْضِ بَيْنهمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ" قَالَ عُمَر: فَذَهَبَ بِهَا أَبُو عُبَيْدَة ﷺ"[30].

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدَّثني سعيد بن جُبير، وعِكرمة، عن ابن عباس، قال: اجتمعت نصارى نجران، وأحبارُ يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعُوا عنده، فقالت الأحبارُ: ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 65-68] فقال رجل من الأحبار: أتريد منا يا محمد أن نعبُدَك كما تعبُدُ النَّصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل مِن نصارى نجران: أَوَ ذلك تريدُ يا محمد، وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ: "مَعَاذَ الله أنْ أعْبُدَ غَيْرَ الله، أوْ آمُرَ بِعبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي ولا أَمَرَنِي"، فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 79-80]، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق

---

[30] ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج1، ص574-584، وهذا إسناد مرسل، محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة ولكنه لم يلق أحدا من الصحابة ولذلك عده الحافظ ابن حجر من الطبقة السادسة، وقد قال عنها الحافظ في مقدمة تقريبه: "طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة". قال عنه ابن رجب: "هذا منقطع ضعيف، لا يحتاج بمثله". ينظر: ابن رجب، عبدالرحمن ابن أحمد، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج3، ص244. وقال محققا زاد المعاد الشيخان شعيب وعبد القادر الأرنؤوط: "رجاله ثقات، لكنه منقطع". ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص629. وينظر أيضًا: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص470-471. من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به. العسقلاني، أحمد ابن علي بن حجر، **العجاب في بيان الأسباب**، ج2، ص682-683. عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج: "أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله"، فذكر القصة، وفيها: "أن أشرافهم كانوا اثني عشر رجلاً"، وابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، هذا إن صح السند إليه؛ لأننا لا نعرف حال من دون ابن إسحاق. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص50-51.

بتصديقه، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[آل عمران: 81][31].

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيدُ بنُ سفيان، عن ابن البيلماني، عن كُرز بن علقمة، قال: قدم على رسولِ الله ﷺ وفدُ نصارى نجران ستون راكباً، منهم: أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون، منهم ثلاثةُ نَفَر إليهم يؤول أمرُهم: العاقِبُ أميرُ القوم، وذو رأيهم، وصاحِبُ مشورتهم، والذي لا يَصْدُرون إلا عن رأيه وأمره، واسمُه عبد المسيح، والسيد: ثِمالُهم، وصاحِبُ رَحْلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل أُسقُفهم وحَبْرُهم وإمامُهم، وصاحِبُ مِدْرَاسِهِم.

وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودَرَسَ كتبَهم، وكانت ملوكُ الروم مِن أهل النصرانية قد شرَّفوه، وموَّلُوه، وأخدَموه، وبَنَوْا له الكنائِسَ، وبسطوا عليه الكراماتِ لِما يبلغهم عنه مِن علمه واجتهاده في دينهم.

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ مِن نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوجِّهاً إلى رسولِ الله ﷺ وإلى جنبه أخٌ له يقال له: كُرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلةُ أبي حارثة. فقال له كُرز: تعس الأبعدُ يريدُ رسولَ الله ﷺ فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعِسْتَ. فقال: ولِمَ يا أخي؟ فقال: واللهِ إنه النبي الأميُّ الذي كنا ننتظرُه. فقال له كُرز: فما يمنعُك من اتّباعه وأنت تعلمُ هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القومُ: شرَّفونا، وموَّلونا، وأكرمونا، وقد أبَوْا إلا خِلافَه، ولو فعلتُ نزعوا منا كُلَّ ما ترى، فأضمر عليها مِنه أخوه كُرز ابن علقمة حتى أسلم بعد ذلك[32].

---

[31] ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج1، ص544. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص171-174. البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، **دلائل النبوة**، ج5، ص384. وهذا سند ضعيف؛ شيخ ابن إسحاق مجهول؛ كما قال الحافظان الذهبي وابن حجر. ينظر أيضًا: الهلالي، سليم بن عيد، وآل نصر، محمد بن موسى، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ج1، ص260.

[32] من رواية ابن البيلماني، وهو محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني، الكوفي النحوي، مولى عمر بن الخطاب، قال ابن حجر: "ضعيف وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان". ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **تقريب التهذيب**، ص492. وقال الذهبي: "قَالَ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ. وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. قُلْتُ: لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، نُسْخَةٌ أَكْثَرُهَا مَنَاكِيرُ، فَأَنْكَرُهَا: إِنَّ أَحَادِيثِي يَنْسَخُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَنَسْخِ الْقُرْآنِ". ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، **تاريخ الإسلام**، ج4، ص508.

المطلب الرابع: استفاضة روايات الوفد وثبوتها

هذه الروايات لقصة الوفد من كتب السنة، والسير والمغازي، والتفسير تدل على ما ذكره ابن تيمية من اشتهار القصة ومعرفة العموم بها، وبعض الأحداث يكفي اشتهارها ومعرفة العامة بها في الدلالة على صحتها؛ حتى لو كان بعض رواتها في الطرق المسندة فيه ضعف ليس بالضعف الشديد كالكذب أو الاتهام به، ومن الضعف غير الشديد الخطأ، أو الجهالة أو الإرسال ونحوه.وقد قرر الإمام الشافعي هذه المنهجية في قبول الأخبار في كتابه الرسالة، فعندما عرض لحديث "لا وصية لوارث"؛ قال: "ووجدنا أهل الفتيا، ومن حفظنا عنه من أهل العلم بالمغازي من قريش وغيرهم لا يختلفون في أن النبي قال عام الفتح: "لا وصية لوارث، ولا يقتل مؤمن بكافر". ويأثرونه عمن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازي؛ فكان هذا نقل عامة عن عامة، وكان أقوى في بعض الأمر من نقل واحد عن واحد، وكذلك وجدنا أهل العلم عليه مجتمعين. قال: وروى بعض الشاميين حديثاً ليس مما يثبته أهل الحديث، فيه: أن بعض رجاله مجهولون، فرويناه عن النبي ﷺ منقطعاً.وإنما قبلناه بما وصفت من نقل أهل المغازي، وإجماع العامة عليه، وإن كنا قد ذكرنا الحديث فيه، واعتمدنا على حديث أهل المغازي عاماً وإجماع الناس... فاستدللنا بما وصفت، من نقل أهل المغازي عن النبي ﷺ ... مع أن الخبر المنقطع عن النبي ﷺ، وإجماع العامة على القول به"[33].

ويؤكد ثبوت حادثة وفد نجران، والمعاني الكلية فيها= الاتفاق على نزول صدر سورة آل عمران فيها، وعند التأمل في معاني الآيات تجد التطابق بينها وبين ما نقله أهل المغازي والسير، وهذا التواطؤ دليل على صحة الروايات المستفيضة في قصتهم حتى لو كانت أفرادها ضعيفة في الصنعة الحديثية بسبب إرسال أو جهالة. وهذا لا يعني ثبوت كل الروايات التي نقلت في خبر الوفد، ولكن تدل على صحة وثبوت ما اتفقت عليه من قدوم الوفد، والمحاجة في عيسى عليه السلام، ونزول صدر سورة آل عمران فيها، والمباهلة..، ونحو ذلك من المسائل.

---

[33] الشافعي، محمد بن إدريس المكي، **الرسالة**، ص139–142.

المبحث الثاني: المسائل العقدية في مرويات الوفد

تضمنت قصة وفد نجران طائفة من الدلالات والمسائل والفوائد العقدية، وهذه الإفادات العقدية لها شواهد وضمائم تدل عليها، وقد أشار عدد من العلماء إلى فوائد قصة وفد نجران؛ مثل الإمام ابن القيم، والحافظ ابن رجب الحنبلي، والحافظ ابن حجر العسقلاني[34] وغيرهم. وسوف نقتصر على **أهم المسائل العقدية**، وما يدور حولها من نقاشات وجدالات، ونعرضها بتركيز، واختصار بما يتلاءم مع حجم البحث، وغايته.

المطلب الأول: مسائل التوحيد والإيمان

أولاً: إبطال ألوهية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

بعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام بالتوحيد الخالص، وأنزل عليه الإنجيل، واتبعه طائفة من الموحدين المؤمنين، ووقف منه اليهود موقفاً معادياً فكفروا به، وبما جاء به، ثم بعد رفعه إلى السماء لم يستطع أتباعه من المؤمنين المحافظة على دينه، وكتابه، واستطاع اليهود اختراق العقيدة النصرانية من خلال شاول اليهودي الذي دخل في النصرانية، وسمى نفسه بولس[35]، فقام شاول بتحريف العقيدة النصرانية في أهم مسألة وهي الألوهية، فادعى ألوهية المسيح، وأنه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، ثم أصبح هذا هو المعتقد الرسمي، والأساسي للنصارى مع مرور الزمن[36]، وفرق النصارى الكبرى لا تخرج عن هذا الأصل قديماً وحديثاً.

وقد احتج نصارى نجران على ألوهية المسيح عليه السلام بثلاثة حجج[37]:

الأولى: أن المسيح وُلِد من غير أب: جاء في سيرة ابن إسحاق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، ثم ساق قصة وفد نجران، وفيه: "ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله، فيقولون: لم يكن له أبٌ يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله"[38].

---

[34] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص638-645. ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج3، ص244. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج8، ص95.

[35] وهو المعروف بـ[بولس الرسول]، وُلِدَ في مدينة طرسوس، في السنة الثانية الميلادية، وأصله يهودي من سبط بنيامين، واسمه العبراني هو: شاول، والذي يعني: المشتهى، بدأ في صغره بتعلُّم المشنا والأسفار، وحينما شَبَّ تعلم صنعة الخيام، تحوَّل للمسيحية إثر قصة حدثت له، حيث يُذكر أنَّ المسيح ظهر له يومًا، وعاتبه على اضطهاد المسيحيين، فتحوَّل بعد ذلك بولس إلى المسيحية، وأثر كثيرًا في عقائدها. ينظر للاستزادة: الأب متى المسكين، **القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله.**

[36] لمزيد من التفصيل ينظر: رحمة الله الهندي، **إظهار الحق**. أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، **محاضرات في النصرانية**.

[37] ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص50. آل شملان، مبارك بن مساعد، **المباهلة**، ص115.

[38] ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج1، ص573. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص50.

وعن ابن عباس ﷺ: " إن رهطاً من أهل نجران، قدموا على محمد ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنُك تَذْكُرُ صاحبنا؟ فقال: من هو؟، قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال محمد: "أجل، إنه عبد الله"، قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أُنْبِئْتَ به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاء جبريل عليه السلام بأمر ربنا السميع العليم، فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:59][39] وقد رد ابن تيمية رحمه الله على شبهة تتعلق بهذه الآية، وهذه الشبهة ضمن الرسالة التي خصّصَّ لنقضها كتابه الجواب الصحيح، وهي رسالة بولس أسقف أنطاكية، وملخص الشبهة؛ أن الآية لا تعارض ألوهية المسيح بزعمهم، وذلك أنها تتحدث عن جانب الناسوت في طبيعة المسيح، وهم لا يخالفون مضمون الآية فيه، ولكن يبقى جانب اللاهوت لم تتعرض الآية له، ودعموا فهمهم هذا بأن الآية ذكرت عيسى، ولم تذكر المسيح[40].وقد رد عليهم ابن تيمية من وجوه، ملخصها:

1- أن الله خلق بعض خلقه بما هو أعجب من خلق المسيح، فآدم عليه السلام خلقه بلا أب أو أم، وحواء خلقها من رجل، بل من ضلعه، وهذه أعجب من خلق المسيح، ولم يدَّعِ أحد فيهم الألوهية.

2- أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام نفخ فيه من روحه، ولم يقل أحد بأن هذه الروح جعلت له طبيعة لاهوتية كما ادعاها النصارى في المسيح بالسبب ذاته.

3- أن تسميته عيسى في الآية لا يعني أن القرآن يقر بإلهية مسمى المسيح فالنصوص تدل على بطلان إلهيته باسم المسيح نفسه كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ

[39] ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص460. ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد ابن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص225. واسناده ضعيف، وهي النسخة الشهيرة لعطية العوفي، ولكن الأصل الذي نستشهد بها عليه لا شك فيه، فالإجماع منعقد على أن صدر سورة آل عمران نزلت في وفد نجران، ومنعقد أن وفد نجران جادلوا الرسول الكريم في عيسى، وهذه الآية كاشفة لحقيقة هذه المجادلة، والأثر المنقول عن ابن عباس ﷺ يستأنس به في هذا الموطن، والآية تشهد لمعناه فيتقوى.

[40] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج1، ص331.

وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة:17][41].

الثانية: أن الآيات التي جاء بها المسيح لا تصدر إلا من إله: أعطى الله تعالى عيسى بن مريم بعض الآيات والمعجزات الخارقة مثل غيره من الأنبياء، ومنها إحياء الموتى، وشفاء المرضى؛ فظن النصارى أن هذا لا يكون إلاّ من إله.

يقول ابن إسحاق في سياق قصة وفد نجران: "فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويُبرئُ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطين، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً "[42]

وهذه الشبهة نقلها ابن تيمية عن الرسالة الأنطاكية التي رد عليها بكتابه "الجواب الصحيح"، وقررها القس الأنطاكي بأن القرآن وصف المسيح بالخالق، وأن الأفعال التي نقلها هي أفعال الإله، وعلى هذا فالمسيح إله من جهة الجانب اللاهوتي المتحد بالجانب الناسوتي المأخوذ من مريم، فالقرآن يوافقهم حسب زعمهم.

ورد ابن تيمية هذه الشبهة من وجوه عدة منها:

1- أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً، ولا خلقاً عاماً كما ذكر عن نفسه، فالله وحده هو الخالق خلقاً مطلقاً عاماً غير مربوط بإذن أحد، أما المسيح فقال فيه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ [المائدة:110]، وقال المسيح عن نفسه ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:49]، فلم يذكر إلاّ خلق شيء معين خاص بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو الله ؟.

2- أن خلق المسيح من الطين كهيئة الطير تعني تصويره بصورة الطير، وهذا التصوير يقدر عليه عامة الناس، وهو محرم عليهم، وأذن الله فيه للمسيح، فليس المعجزة في هذا التصوير المقدور عليه للناس وهم مشتركون فيه، بل المعجزة في نفخ الله فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله، وهذا لا يكون إلا من الله تعالى[43].

---

[41] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج1، ص332-335.

[42] ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج1، ص573. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص50.

[43] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج1، ص326-331. وقد وصلت ردود ابن تيمية إلى عشرة أوجه، اخترت منها ما له صلة باحتجاج وفد نجران.

الثالثة: أن الله تعالى يعبّر عن نفسه بصيغة الجماعة، وهو دال على التثليث:

احتج نصارى نجران على التثليث، وأن المسيح ثالث ثلاثة بأن الله تعالى يصف نفسه بصفة الجماعة في قوله "إنا"، و"جعلنا " ونحوها.

جاء عند ابن إسحاق في حكاية وفد نجران: " ويحتجون في قولهم بأنه ثالث ثلاثة؛ بقول الله تعالى: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان الله واحداً ما قال إلاّ فعلتُ، وقضيتُ، وأمرتُ، وخلقتُ؛ ولكنه هو وعيسى ومريم، تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم نزل القرآن " [44].

وهذا النمط من الاستدلالات ظاهر البطلان، فإن الجمع في الأمثلة السابقة المقصود منه التعظيم، وليس تعدد الذوات، ولهذا يعبّر الملوك والسلاطين بـ" نحن " من باب التعظيم، والسلطان فرد واحد، وهو أقل عظمة من الله تعالى الذي لا يدانيه أحد. ولكن هذا النمط الاستدلالي هو من الاحتجاج بالمتشابه، وترك المحكم البين، فاحتمال التعظيم في الجمع وارد، ولكن وصف الله تعالى بالوحدانية نص محكم في أنه واحد لا شريك الله في ربوبيته، أو إلهيته، أو أسمائه وصفاته، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ الآيات ... وغيرها كثير[45].

ثانياً: الالتزام بالعمل ركن أصلي في الإيمان، وعدم كفاية الإيمان بالإقرار الخبري المجرد:

لا ريب أن الإيمان حقيقة مركبة من القول (قول اللسان والقلب)، والعمل (عمل القلب وعمل الجوارح)، ولا يتم الإيمان إلا بهما معاً، والإقرار بالشهادة أو النبوة إما أن يأتي على وجه الإخبار بما في نفس المخبر من تصديق، أو يأتي على وجه الالتزام بما أقر به من الإيمان.

والإقرار الذي وقع من نصارى نجران من قبيل الإخبار عن معرفتهم بتصديقه، ولهذا بقوا على ما هم عليه من شرك النصارى، ولم يتضمن ذلك دخولهم في الدين.

وهذا النوع من الإقرار غير النافع حصل أكثر من مرة في زمن النبوة، ولم يترتب عليه دخول المقر به في الإسلام، ويمكن أن نذكر مثلين على ذلك:

---

[44] ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، **السيرة النبوية**، ج1، ص573. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص50.

[45] لمزيد من التفصيل ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص276-277.

الأول: قصة سؤال هرقل عن النبي ﷺ الواردة في صحيح البخاري كتاب بدء الوحي[46]، وفيه: "فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"[47].

فهذا يدل على أن هرقل مقر بنبوته عليه الصلاة والسلام، ولكن هذا الإقرار ليس التزاماً بالإسلام بل هو إقرار خبري وتمنٍ لا يتضمن انتقالاً من النصرانية إلى الإسلام.

الثاني: حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى النبي أو إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء:101]، فقال: لا تقل نبي، فإنَّه إن سمعك صارت له أربع أعين!

فسألاه، فقال النبي ﷺ: (لا تشركوا بالله ولا تسرقوا ولا تزنوا ...) الحديث. إلى أن قال: فقبلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي، قال: (فما يمنعكما أن تتبعاني؟)، قالا: إن داوود عليه السلام دعا ألا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود." [48].

وهذا الحديث يتضمن أن النبي ﷺ لم يفهم من شهادتهم أنه إيمان منهم، ولهذا سألهم عن الإتباع، وهو الالتزام بالإيمان.

فقول أبي حارثة –وهو أعلم أهل الوفد– لأخيه كرز بن علقمة " واللهِ إنه النبي الأُمي الذي كنا ننتظرُه. فقال له كُرز: فما يمنعُك من اتِّباعه وأنت تعلمُ هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القومُ: شرَّفونا، وموَّلونا، وأكرمونا، وقد أبَوْا إلا خِلافَه، ولو فعلتُ نزعوا منا كُلَّ ما ترى، فأضمر عليها مِنه أخوه كُرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك"، وكذلك امتناعهم عن مباهلته، دليل على تصديقه، وإثبات نبوته، ولم يثبت لهم الإسلام لعدم وجود الالتزام به. بل إن الرسول ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام زعموا أنهم مسلمين من قبل لقائهم به، ولكنه كذبهم في ذلك بأن الإسلام لا يستقيم مع قولهم ببنوة المسيح كما تقدم.يقول ابن القيم

---

[46] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم7، ص17.

[47] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم7، ص17.

[48] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، كتاب أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قُبلة اليد والرجل، رقم2944، ص833. وقال: وهذا حديث حسن صحيح. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **السنن الكبرى**، كتاب المحاربة من السنن، السحر، رقم3730، ج5، ص565–566. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، رقم18092، ج30، ص12–13.

في فقه قصة وفد نجران: "وفيها: أنَّ إقرارَ الكاهن الكِتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي لا يُدخله في الإسلام ما لم يلتزِمْ طاعتَه ومتابعته، فإذا تمسَّك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكونُ رِدَّة منه، ونظيرُ هذا قول الحَبْرينِ له، وقد سألاه ثلاث مسائل، فلما أجابهما، قالا: نشهد أنك نبي، قال: "فما يمنعُكما مِن اتباعي"؟ قالا: نخاف أن تقتُلَنا اليهودُ، ولم يُلزمهما بذلك الإسلام، ونظيرُ ذلِكَ شهادةُ عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأنَّ دينَه مِن خير أديان البرية ديناً، ولم تُدخِلْه هذه الشهادةُ في الإسلام. ومَن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أنَّ الإسلامَ أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفةُ والإقرارُ، والانقيادُ، والتزامُ طاعته ودينه ظاهراً وباطناً.

وقد اختلف أئمةُ الإسلام في الكافر إذا قال: أشهدُ أن محمداً رسولُ اللهِ ولم يَزِدْ، هل يُحكم بإسلامه بذلك؟ على ثلاثة أقوال، وهي ثلاثُ روايات عن الإمام أحمد، إحداها: يُحكم بإسلامه بذلك، والثانية: لا يُحكم بإسلامه حتى يأتي بشهادة أنْ لا إله إلا الله، والثالثة: أنَّه إذا كان مقراً بالتوحيد، حُكِم بإسلامه، وإن لم يكن مقراً، لم يُحكم بإسلامه حتى يأتي به، وليس هذا موضعَ استيفاء هذه المسألة، وإنما أشرنا إليه إشارة، وأهلُ الكتابين مجمعون على أنَّ نبياً يخرج في آخر الزمان، وهم ينتظرونه، ولا يَشُكُّ علماؤهم في أنه محمدُ بنُ عبدالله بن عبد المطلب، وإنما يمنعُهم من الدخول في الإسلام رئاستُهم على قومهم، وخضوعُهم لهم، وما ينالونه منهم مِن المال والجاه"[49].

وقال الحافظ ابن حجر: "وفي قصة أهل نجران من الفوائد: أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكامه"[50].

ومن ذلك: اعتراف أبي طالب بأن دينه –أي: دين النبي ﷺ– من خير الأديان؛ ولكن هذا لم يجعله مؤمناً لما رفض الشهادتين، وقال: على ملة عبد المطلب[51].والذين يعترفون بالنبوة لما تبهرهم دلائلها

[49] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص638.

[50] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج8، ص95.

[51] لم يقل بإسلام أبي طالب إلا المرجئة لأن حقيقة الإيمان: التصديق القلبي، وقد تحقق فيه، أما قول اللسان فهو علامة على إجراء الأحكام الدنيوية في الظاهر، ولهذا يجوزون أن يكون شخص يعامل في الدنيا معاملة الكافر، وهو ناج في الآخرة، ولهذا كتب مفتي الشافعية في مكة أحمد زيني دحلان كتاب: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب.

من اليهود والنصارى والملحدين كثيرون مع أنهم لا يغيرون حالهم الديني، وهم يدركون أن هذا مجرد إخبار علمي لا يتضمن أي التزام عملي، ولهذا لا يعتبرون ذلك تغييراً في ديانتهم، وهذا أمر ظاهر، وإبليس مع القطع بكفره وخلوده في النار يعترف بالله واليوم الآخر، وهو اعتراف لا قيمة له مع التزام الكفر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "لفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار. وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما. وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

والثاني: إنشاء الالتزام. كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:81]. وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران:81]. فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول، وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام، بخلاف لفظ التصديق المجرد، فمن أخبر الرجل بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر لا يقال فيه آمن له، بخلال الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر، والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه، فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر إلا بالتزام طاعته مع تصديقه، بل قد استعمل لفظ الكفر المقابل للإيمان في نفس الامتناع عن الطاعة والانقياد، فقياس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما استعمل لفظ الإقرار في نفس التزام الطاعة والانقياد فإن الله أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين"[52].

وفي هذا التقرير فائدة عظيمة وهي صواب قول أهل السنة والجماعة في الإيمان، وأنه قول وعمل، ورد على مذهب المتكلمين المرجئة في الإيمان بحصره في التصديق القلبي، ولو كان كلامهم حقاً لكان هرقل، والحبران، ونصارى نجران، وأبو طالب، بل وإبليس مؤمنين كاملي الإيمان، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

ثالثاً: كفر النصارى:

من المحكمات العقدية أن كل من لم يدخل في دين الإسلام، ويقر بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، وأصول الإيمان كما جاء بها النبي ﷺ فهو كافر تطبق عليه أحكام الكفر في الدنيا وفي الآخرة، وهذا مما لم يختلف فيه المسلمون.

---

[52] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **مجموع الفتاوى**، ج7، ص530-531.

وهذه القاعدة منطبقة على النصارى كما تنطبق على اليهود وبقية أتباع الأديان الأخرى كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85]، وقال أيضا: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:19]، وقال أيضاً ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:52] وهذه الآيات من صدر سورة آل عمران التي نزلت في وفد نجران باتفاق المفسرين كما تقدم.وهي تدل على أن الدين المقبول عند الله هو التوحيد، وإسلام الوجه لله، ولهذا فإن عيسى عليه السلام، ومن معه من الحواريين كانوا مسلمين، ومن ابتغى غير الإسلام ديناً فهو خاسر في الدنيا والآخرة، والنصارى بعد عيسى بدلوا الدين بالشرك، وحرفوا الكتاب الذي أنزله الله عليه فلم يكونوا على الإسلام الذي شهد به الحواريون على أنفسهم.

وكان وفد نجران أول طائفة من النصارى تلقى رسول الله ﷺ بعد ظهور الإسلام وقوته، وقد عاملهم معاملة الكفار، وفرض عليهم الجزية، ولم يعتبرهم مسلمين لهم حقوق الإسلام.

جاء في حديث جابر قال: قدم على النبي ﷺ العاقبُ والسيّدُ فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا يا محمد، قال: " كذبتما، وإن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما من الإسلام؟" قالا: فهاتِ، قال: "حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل الخنزير"[53]

وقد ذكر ابن القيم من فوائد قصة الوفد:" ومنها: أنَّ مَن عظَّم مخلوقاً فوقَ منزلته التي يستحِقُّها، بحيثُ أخرجه عن منزلة العبودية المحضة، فقد أشرك بالله، وعَبَدَ مع الله غيره، وذلك مخالفٌ لجميع دعوة الرُّسُل"[54]، وهذا متحقق في النصارى.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين كفر النصارى، وجاءت بصيغ مختلفة منها: التصريح بكفرهم، ونفي الإيمان عنهم، واعتبارهم مشركين، وخالدين في النار ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة:1]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:73]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ

---

[53] أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، **دلائل النبوة**، رقم244، ص353.

[54] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص642.

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة:72]، وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:29]، وقال أيضا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:31]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة:6] وغيرها.

ومع وضوح الآيات القرآنية واتفاق الأمة على كفر النصارى فقد وجد في الكتّاب المعاصرين من زعم أنهم مسلمون، واحتجّ بأنهم من أتباع الأنبياء، وهذا مناقض لما دلت عليه النصوص، ويبطله أصلان شرعيان:

أحدهما: أن الله لا يقبل من أحد ديناً بعد بعثة محمد ﷺ إلا ما جاء به، ولو وجد أحد الأنبياء بعد بعثته لوجب عليه اتباعه، ولهذا كانت الشهادة بنبوة محمد ﷺ واتباعه ركناً أصلياً في الإيمان يزول الإيمان بزواله.

ثانياً: أن النصارى حرفوا الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، فوقعوا في الشرك بالله، والكفر بما جاء به، وحرفوا الانجيل الذي أنزله.

وبناء على هذا فلا يمكن أن يكون النصارى مسلمين، وهذه قضية قطعية في دين الإسلام.

يقول عبد اللطيف غزالي: "الإسلام الذي لا يقبل غيره الله هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن، وأي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم سواء كان مؤمناً بمحمد ﷺ، أو كان من اليهود أو النصارى، أو الصابئين" ثم قال: "والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلاما"[55].

وهذه الفكرة تدل على فهم خاطئ لمعنى إسلام الأنبياء، فقد فهموا من النصوص الدالة على الدين المشترك بين الأنبياء أن اليهود والنصارى مسلمون باعتبار أنهم من أتباع الأنبياء، ولو أنهم درسوا معنى

---

[55] ينظر: القاضي، أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان، **دعوة التقريب بين الأديان**، ج2، ص646. وهذا النص أخصر النصوص التي توضح هذه الفكرة، وقد ذكرها وأطال الكلام فيها الدكتور محمد عمارة في كتابه الإسلام والوحدة القومية وغيره.

إسلام الأنبياء دراسة صحيحة لعلموا أن المراد به توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا ما لا يوجد في اليهود والنصارى الذين وقعوا في الشرك والكفر كما نص على ذلك القرآن، فهم يأتون بالآيات في إسلام الأنبياء، ويتركون الآيات في كفر أهل الكتاب وعدم إيمانهم.

ثم إن النصارى لو كانوا على دين عيسى الذي جاء به من عند الله ثم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ بعدما بعثه الله بالإسلام فإنه لا ينفعهم إيمانهم ذلك، لأن نبوة محمد ﷺ ناسخة لجميع الأديان والشرائع قبلها حتى لو لم تحرف، فكيف إذا حرفت كما هو الواقع الآن؟[56].

المطلب الثاني: العلاقة بين أهل الإسلام وأهل الكفر

وهذه المسألة متصلة بالتوحيد والإيمان لأنها من لوازمه، فإن من لوازم التوحيد والإيمان: الولاء والبراء، وهي قاعدة عظيمة؛ تقتضي الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، ويتبين ذلك بمعرفة العلاقة بين أهل الإسلام وأهل الكفر، فإن تحرير العلاقة بين أهل الإيمان والكفر من مسائل الاعتقاد المهمة، وهذه العلاقة راجعة إلى فهم العلاقة بين نصوص المجادلة والدعوة للكفار، ونصوص آيات السيف والقتال، فالذين يرون أن آيات السيف والقتال ناسخة للمحاجة والمجادلة مع أهل الكتاب يرون أن الجهاد ناسخ للمجادلة، ويرون

في نصوص المجادلة مرحلة زمنية منسوخة، والحق أنه يجب إعمال كافة النصوص في محلها، فالنصوص الدالة على المجادلة يراد بها المجادلة في محلها، ووقتها المناسب، والنصوص الدالة على السيف والقتال والجهاد تكون في محلها أيضاً، وفي قصة وفد نجران تشريع واضح للمجادلة، والمباهلة للنصارى، وهي من آخر ما نزل في حياة النبي عليه السلام، وهي بعد آيات البراءة والقتال والسيف.

ومما يدل على أن مجادلة أهل الكتاب، ومباهلتهم مُحْكَمة، وليست منسوخة بآية السيف، ما يلي:

---

[56] ممن قرر هذا الأصل، واعتبره محكماً شرعيّاً، ومسلماً من مسلمات العقيدة، الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه (موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى)، وذكر فيه أن هذا حكمهم في الدنيا، أما حكمهم في الآخرة فلا نحكم عليهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [سورة الإسراء:15]، وأنه يشترط للحكم عليهم أن تكون الدعوة بلغتهم بلا تشويه، وعندهم إمكان النظر والتفكير، ومع ذلك كفروا، وهذا القول تبع فيه شيخه محمود شلتوت، وهو معارض للحديث الصحيح:" والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار" رواه مسلم، فقيام الحجة على الكافر الأصلي يكفي فيها البلاغ، ووصولها إليه، أما ما عدا ذلك فيجب عليه بذل الجهد حتى يصل إلى الحق، لأن لازم كلامهم أنه لا يكفر إلا المعاند، وهذا مخالف لنصوص الشرع التي وصفت كل من كفر بالله ورسوله بالكفر على العموم سواء كان معانداً، أو غير معاند.

أولاً: أن أهل الذمة والأمان والعهد لا يُقاتلون، وهم داخلون فيمن أمر الله تعالى بدعوته ومجادلته.

ثانياً: أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:46]. بيان للفرق بين الظالم وغير الظالم من أهل الكتاب، فالظالم يقاتل بالسيف، وغير الظالم يدعى ويجادل.

ثالثاً: أن قوله تعالى ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ [التوبة:6]. يدل على أن المستأمن وهو من أهل الحرب امر الله تعالى بإجارته حتى يسمع كلام الله وهي الحجة عليه، ثم يُبلَّغ مأمنه، وهذه الآية جاءت في سورة التوبة التي فيها آية السيف[57].

كل هذه الوجوه وغيرها تدل على بقاء المجادلة والمباهلة، وأنها مُحْكَمة غير منسوخة.

وفيما يأتي سنبين ما ورد في أحداث الوفد من المجادلة والمباهلة لأهل الكتاب، وهي تؤكد الحقيقة العلميَّة السابقة.

أولاً: مجادلة أهل الكتاب:

المجادلة مأخوذة من الجدل، وهو "مقابلة الحجة بالحجة"[58]، وعرّفه الجرجاني بأنه: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة على الحقيقة"[59]، وأحسن منه قول الجويني: "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة، والدلالة"[60]، والجدال منه مشروع يقصد به نصرة الحق، ومنه باطل يقصد منه نصرة الباطل، أو التغلب على الأقران، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:5]، وقال أيضاً، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج:8]، أما المجادلة بالدليل الصحيح لنصرة الحق فهو عمل صالح، ودعوة إلى الله.

ومجادلة أهل الكتاب، ومناقشتهم في دينهم، وبيان ما هم عليه من الباطل مقررة في كتاب الله تعالى، يقول تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:64]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:46]، ونحوها من الآيات.

---

[57] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح**، ج1، ص219.

[58] ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج1، ص247.

[59] الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، ص74.

[60] الجويني، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، **الكفاية في الجدل**، ص21.

وقد تقدم في قصة وفد نجران مجادلة دينية مع علمائهم، منها:" فَلَمَّا كَلَّمَهُ الْحَبْرَانِ قَالَ لَهُمَا رَسُول اللَّه ﷺ "أَسْلِمَا" قَالَا قَدْ أَسْلَمْنَا قَالَ " إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا فَأَسْلِمَا " قَالَا: بَلَى قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلك قَالَ " كَذَبْتُمَا يَمْنَعكُمَا مِنْ الْإِسْلَام اِدِّعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا وَعِبَادَتكُمَا الصَّلِيب وَأَكْلكُمَا الْخِنْزِير " قَالَا: فَمَنْ أَبُوهُ يَا مُحَمَّد؟ فَصَمَتَ رَسُول اللَّه ﷺ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّه فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلهمْ وَاخْتِلَاف أَمْرهمْ صَدْر سُورَة آل عِمْرَان إِلَى بِضْع وَثَمَانِينَ آيَة مِنْهَا".ومجادلتهم باب من أبواب الدعوة إلى الله، وفي ذلك يقول ابن القيم: "ومنها: جوازُ مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحبابُ ذلك، بل وجوبُه إذا ظهرت مصلحتُه من إسلام مَن يُرجى إسلامُه منهم، وإقامة الحُجَّة عليهم، ولا يهرُب من مجادلتهم إلا عاجزٌ عن إقامة الحُجَّة، فليوَلِّ ذلك إلى أهله، وليُخَلّ بَيْنَ المطِي وحَادِيها، والقوسِ وباريها". إلى أن يقول: "والمقصود: أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يزل في جِدالِ الكفار على اختلاف مِللهم ونِحَلِهم" إلى أن تُوفي وكذلك أصحابُه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي أحسن في السورة المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحُجَّةِ إلى المباهلة، وبهذا قام الدينُ، وإنما جُعِلَ السيفُ ناصِراً للحُجَّة، وأعدلُ السيوفِ سيفٌ ينصُرُ حُجَجَ اللهِ وبيِّناتِه، وهو سيفُ رسوله وأُمته." [61].

ويقول الحافظ ابن حجر في فوائد الوفد: " وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته."[62].

وهذه المجادلة تختلف بحسب هدفها؛ فأحياناً يراد بها جذبهم إلى الإسلام، وفي هذه الحالة يستخدم معهم الأدلة اليقينية في صحة دين الإسلام، وإثبات نبوة محمد ﷺ بسائر دلائل النبوة ومنها مجيء الكتب السماوية قبل التحريف بعلامات نبوته، وأحياناً يراد بها الدفاع عن الإسلام، وبيان ما هم عليه من تحريف الدين، والشرك في عبادة الله، والجميع بحاجة إلى حجة قوية، وعلم صحيح، وبصيرة ثاقبة.

ومجادلة أهل الكتاب تبحث من جانبين:

الأول: جانب الجدال العقدي، والثاني: جانب أساليب الجدال.

- فمن **جهة الجدال العقدي** جاءت الآيات التي نزلت في وفد نجران بمجادلتهم في موضوعات

---

[61] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص642.

[62] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج8، ص95.

عقدية متعددة وهي كالتالي:

بيان حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنه بشر مخلوق، وليس إلهاً، أو ابن الله، بل خلقه الله من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم؛ فكيف يقرون بخلق آدم من غير أبوين، ويعتقدون بشريته، وينكرون ذلك في المسيح مع أنه أقل عجباً من آدم؟

دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وترك الشرك بالله.

وبيان أن دعواهم بأن إبراهيم عليه السلام نصرانياً دعوى باطله، فإبراهيم وجد قبل نزول التوراة والانجيل، وكان حنيفاً مسلماً موحداً لا يشرك بالله أحداً سواء كان المسيح أو غيره ومن مجادلتهم للرسول عليه الصلاة والسلام استدلالهم على ألوهية المسيح عليه السلام بالألفاظ الواردة في القرآن الدالة على التعظيم مثل " إنّا "، و" نحن "، وأمثالها من التعبير عن الله تعالى بالجمع، وظنوا أن ذلك يستلزم التكثير في ذاته المنافي للتوحيد، وهو استدلال بالمتشابه، فإن هذه الألفاظ يقصد بها التعظيم، وليس التكثير في العدد.

وهذا نوع من الاستدلال بالمتشابه في مقابل المحكم الواضح في إثبات التوحيد لله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:163]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1] ونحوها من المحكمات[63].

ولهذا جاء الكلام في موضوع المحكم والمتشابه في صدر سورة آل عمران التي نزلت في وفد نجران؛ لبيان منهج حجاجهم، وقيامه على المتشابه، وترك المحكم.

ولهذا قال تعالى في الآيات التي نزلت في الوفد: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:18]يقول الإمام الطبري رحمه الله:" وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفي ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من البُنُوّة، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكاً، واتخاذهم دونه أرباباً، فأخبرهم الله عن نفسه، أنه خالق كلّ ما سواه، وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربّاً دونه، وأن ذلك مما يشهد به هو والملائكة وأهل العلم به من خلقه"[64].

---

[63] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص306.

[64] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج5، ص279.

وقد جادله وفد نجران أيضا في عقيدة الصلب والفداء فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:55].

وفي مجادلة وفد نجران؛ بيّن الله تعالى المنهج الرشيد في مجادلة ومحاورة أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

وقد جادلوه أيضاً في إبراهيم عليه السلام فبين الله ذلك بالحق فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:65-68].

- **وأما من جهة أساليب الجدال** فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46] وصف يشمل: الأحسن في الحجة وهذا يشمل قوة الحجة ووضوحها وحسن تقريرها، والأحسن في الأسلوب والأدب والأخلاق فلا يتضمن إساءة لفظية أو فعلية، فالإحسان يشمل ذلك كله.

وقد جاء القرآن الكريم بأساليب كثيرة في مجادلة أهل الكتاب ومنها: التذكير بالنعم والعطايا التي خصهم الله بها، وترغيبهم في الثواب وتكفير الخطايا، والترهيب بالعذاب والخلود في النار، والإنكار عليهم بسبب كفرهم بعدما أعطاهم الله الكتاب والعلم وبعث فيهم الأنبياء، ونحو ذلك من الأساليب.

وهذه المجادلة المشروعة مباينة لفكرة الحوار بين الأديان التي ظهرت في العصر الحديث، وفكرة الحوار بين الأديان ليست مجادلة وحواراً دينياً عقدياً بل يشترطون في الحوار بين الأديان عدم وجود أي مناقشات دينية؛ لأن إثارة المناقشات العقدية تثير الخلاف بين الأديان، وهم لا يريدون الخلاف بينهم بل يريدون العمل المشترك في القضايا المتفق عليها.

والحوار بين الأديان على درجات: منها وحدة الأديان وهو توحيد الأديان الباطلة مع دين الإسلام، ولا يخفى ما في هذا من الكفر المبين، ومنها التقريب بين الأديان من خلال الاتفاق على عدم إثارة الاختلافات العقدية، والاتفاق على محاربة الإلحاد والفقر والمخدرات والأمراض ونحو ذلك، وهذا النوع مخالف للمنهج النبوي في التعامل مع الأديان، ويقتضي تسوية الدين الحق بالباطل، وعدم البراءة من العقائد الكفرية في الأديان المحرفة، وهذا مخالف لمنهج القرآن والسنة.

والحقيقة أن الحوار بين الأديان بالصفة السابقة ذو أهداف سياسية، وليس هدفه الدعوة بل يعارض المقصود منها، وهو مشروع أمريكي لتوظيف الأديان وتجميعها لحرب الشيوعية السوفيتية في حقبة الحرب الباردة، ومن دخله من أهل العلم فهو إما مغفل، أو فرض عليه ذلك، أو من أهل العقائد الزائغة، والمناهج الضالة. [65]

ثانياً: المباهلة:

ومن الأساليب الشرعية في التعامل مع النصارى وسائر أهل الباطل بعد استنفاد طرق الإقناع: طلب "**المباهلة**" وهي أن يجتمع كل أطراف المجادلة مع أبنائهم ونسائهم وأهليهم ويدعوا كل فريق على الآخر باللعنة، وهذه الطريقة مخيفة لمن كان يضمر شهوة خفية تمنعه من قبول الحق مع إقراره به سواء كانت مالاً أو جاهاً أو نحو ذلك من رغائب الدنيا، فيخاف من الهلاك الدنيوي والعذاب الأخروي.

يقول ابن القيم:" ومنها: أنَّ السُّنَّة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حُجَّةُ اللهِ، ولم يرجعوا، بل أصرُّوا على العناد أن يدعوَهم إلى المباهلة، وقد أمر اللهُ سبحانه بذلك رسولَه، ولم يقل: إنَّ ذلك ليس لأُمتك مِن بعدك، ودعا إليه ابنُ عمِّه عبدُ الله بن عباس لمن أنكر عليه بعضَ مسائل الفروع، ولم يُنكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعيُّ: سفيانَ الثوريَّ في مسألة رفع اليدين، ولم يُنكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحُجَّة." [66].

وهذه المباهلة هي الواردة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:61] ومعنى "نبتهل" "أي: نتداع باللعن، أو نلتعن؛ يقال: بهله الله، وبهلته: أي لعنته، وأصل البهل: كون الشيء

[65] لمزيد من التفصيل ينظر: القاضي، أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان، **دعوة التقريب بين الأديان**. أبو رمان، سامر رضوان، **الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان**.

[66] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج3، ص643.

غير مراعى، والبهل والابتهال في الدعاء: الاسترسال فيه والتضرع"[67]

وقد ذكر العلماء معانٍ للمباهلة عند تفسير هذه الآية، منها:

- الدعاء.
- الاجتهاد في الدعاء، والتضرع إلى الله به.
- إخلاص الدعاء لله.
- اللعان والملاعنة للكاذب، والظالم، والمبطل. [68]

ومما تقدم نجد أن معنى المباهلة تدور على:

- الدعاء باجتهاد وتضرع وإخلاص.
- استعمال اللعان خاصة وهي من أشد صيغ الدعاء.

ويشترط للمباهلة أن تكون مع الخصم المعاند، وأن تكون في الأمور المحكمة اليقينية الواضحة التي يجزم المسلم بها، ولا تكون في أمور الدنيا، أو المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، كما يشترط فيها اجتماع الخصمين، ولا يكون الدعاء، واللعن بانفراد، كما يكون الدعاء واللعن على الكاذب، وهي ختام الجدال بعد ظهر معاندة الخصم، ورفضه للحق.

ويدل على كيفيتها ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم: هؤلاء أهلي"[69].

يقول الحافظ ابن حجر:" وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي ووقع ذلك لجماعة من العلماء ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين." [70].

---

[67] الدرر السنية، **التفسير المحرر للقرآن الكريم**، ج2، ص247.

[68] ينظر: ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص230-231.

[69] مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، ذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم3/2483، ص1154-1155. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، رقم1608، ج3، ص160.

[70] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري**، ج8، ص95.

وجاء عن الشعبي مرسلاً قال " لما أراد رسول الله ﷺ أن يلاعن أهل نجران قبلوا أن يعطوا الجزية، فقال عليه السلام: "لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة حتى الطير على الشجر.. ولما غدا إليهم رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وكانت فاطمة تمشي خلفه "[71]

المطلب الثالث: دلائل النبوة

ثبوت النبوة تدل عليه أدلة كثيرة، ونبوة محمد ﷺ من أكثرها أدلة، وأعظمها القرآن المعجز، ووجه إعجازه يتنوع بين البيان، والبلاغة، وإعجاز تشريعاته، وعقائده، ولهذا تحدى الله المشركين أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة فقط، ولم يجرؤ أحد على محاولة محاكاته لقوة إعجازه فهو كلام إلهي غير قابل للتحدي، والفارق بينه وبين قول البشر منعهم من المحاولة والتجريب ليقينهم بالفشل الذريع.

ومن دلائل النبوة: إخبار الكتب السابقة بنبوته، وهي حجة على من يؤمن بهذه الكتب؛ لأن التصديق بكتبهم يقتضي التصديق بما تتضمنه، ومنها تلك البشارات، "ويكون تكذيبهم بالنبي ﷺ تكذيباً لما جاء في كتبهم من الأخبار بنبوته ﷺ"[72].

وفي إثبات هذه البشارات في الكتب السابقة يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:146]، ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:157]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف:6]

وقد جاء التعبير بلفظ " البشارة " عند الإخبار عن رسالته؛ في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، وفي الإنجيل أيضا في وصف رسالة الرسول الموعود بأنها " بشارة الملكوت "[73]

---

[71] ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، **المصنف**، رقم39791، ج21، ص123

[72] القرني، عبدالله بن محمد، **المعرفة في الإسلام**، ص127.

[73] إنجيل متى، (24: 11).

وقد جاء في وفد نجران ما يشير إلى أنهم يعرفون الرسول ﷺ من صفاته الواردة في كتبهم، وبشارتها به، وقد نكلوا عن مباهلته خوفاً من نتيجتها لو كان نبياً، وهذا يشير إلى أنهم عرفوا صفاته الموجودة في التوراة والإنجيل من البشارة به، وذكر صفاته، ولهذا لم ينكروا ما جاء في القرآن من ذكر البشارة به في كتبهم، ولو لم يكونوا على إقرار بذلك لأنكروا ذلك، ولم يسكتوا عنه، لا سيما أن إخبار القرآن ببشار الكتب السابقة بنبوته جاء في مكة كما في سورة الأعراف، وبعضها نزل في المدينة كما في سورة البقرة[74]، وهذا يعني أن خبر البشارة بالنبي في كتب أهل الكتاب معروف عندهم لطول مدته؛ فقد نزل بمكة، ثم تم تأكيده في المدينة، ولو كان عندهم رفض به لأظهروا ذلك.

يقول ابن القيم أنه (أي الرسول) أخبر بهذا (أي البشارة به) لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم، وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب، وأخبر به لأتباعه؛ فلو كان هذا باطلاً لا صحة له = لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا اهل الكتاب فينكرون ذلك، وتسليطاً لأهل الكتاب على الإنكار، وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه. وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه، ويجعل إخباره دليلاً على صدقه، وهذا لا يصدر عن عاقل ولا مجنون. فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به ..." [75]

وقد ذكر عدد من أهل العلم نصوص التوراة والإنجيل في البشارة بنوته عليه السلام، وهي مشتهرة بين أهل الكتاب، ولكنهم يحرفون معناها، وأحياناً لفظها.[76]

المطلب الرابع: مناقب الصحابة

الصحابة هم كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك[77]، وهم درجات، وبعضهم أفضل من بعض، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ، ثم العشرة المبشرون بالجنة، ثم أهل بدر ثم من آمن قبل الهجرة، ثم من آمن قبل فتح مكة ... وهكذا.

والنصوص في فضلهم كثيرة موفورة، وتوقيرهم ومحبتهم موضع إجماع عند أهل السنة والجماعة[78]. ولم يقدح في الصحابة الكرام أحد ممن ينتسب إلى الإسلام كما فعلت الرافضة، فقد كفروهم، ولعنوهم، واتهموهم بأبشع الصفات، ووسموهم بأسوأ الخصال، وهو مذهب مخذول، أتباعه لا عقل لهم ولا نقل.

---

[74] ينظر: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج1، ص46. ج3، ص412.

[75] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **هداية الحيارى**، ص111.

[76] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ج5، ص197-318.

[77] ينظر: السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، ج4، ص8.

[78] لمزيد من التفصيل ينظر: آل الشيخ، ناصر بن علي عايض، **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام**.

والمراد بالمناقب والفضائل هي الخصلة التي يستحق بها الموصوف علو المنزلة لما تحلى به من صفاتٍ، وخلالٍ كريمة.

وفي وفد نجران جاء الثناء على أبي عبيدة ﷺ بأنه أمين هذه الأمة، وأنه أمين حق أمين، وهي منزلة رفيعة لأبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ.

ونصه عند البخاري: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: «لَأَبْعَثَنَّ -يَعْنِي عَلَيْكُمْ يَعْنِي أَمِينًا- حَقَّ أَمِينٍ» فَأَشْرَفَ أَصْحَابُهُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ﷺ"[79]، وقد رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب ابي عبيدة بن الجراح ﷺ، وهو صريح في فضله، وعدالته، وفضل الأمانة في النصوص الشرعية لا تخفى، وهي تجمع خصال الخير والفضل كلها.

ويستحق أبو عبيدة ﷺ هذه المنقبة العظيمة، فهو من السابقين الأولين في الدخول إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وشهد بدراً، وسائر المغازي مع النبي عليه الصلاة والسلام، وهو من العباد، والزهاد، وقادة الجهاد، وقد شارك في بناء هذه الأمة الإسلامية مشاركات عظيمة[80].

---

[79] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، رقم3734. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، ذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم2502، ص1162. وأخرجه عن شعبة عن أبي إسحاق أيضاً، ينظر: أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ج7، ص175. الطيالسي، سليمان ابن داود الجارود، **المسند**، رقم412، ج1، ص328. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، رقم23377، ج38، ص394. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **السنن الكبرى**، كتاب المناقب، مناقب أبو عبيدة بن الجراح، رقم8338، ج10، ص219. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **السنن**، باب اتِّباع سنة رسول الله ﷺ، فضل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، رقم135، ص41. البزار، أبوبكر أحمد بن عمرو بن خلَّاد، **المسند**، رقم2925، ج7، ص327-328. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، **شرح مشكل الآثار**، رقم2509، ج6، ص318. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، **صحيح ابن حبان**، رقم6999، ج15، 460. البيهقي، أحمد بن الحسين الخرساني، **السنن الكبرى**، رقم20174، ج20، ص237.

[80] ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج5، ص508-514

الخاتمة:

هذه خاتمة بأهم نتائج البحث:

- أصح رواية ثبتت في قصة وفد نجران هي التي وردت في مناقب أبي عبيدة ابن الجراح، أما بقية الروايات ففي أفرادها ضعف من إرسال، أو انقطاع، أو جهالة.

- قصة وفد نجران متواترة تواتراً معنوياً بالاستفاضة المنقولة في المغازي، وأسباب النزول وغيرها

- أجمع المفسرون على نزول صدر سورة آل عمران في وفد نجران، وآياتها تتضمن ما دلت عليه الروايات من مجادلتهم للرسول ﷺ، ومسألة المباهلة، ونحوها.

- تضمنت قصة الوفد مسائل عقدية هامة في باب الإيمان، والنبوات، وغيرها.

- في قصة الوفد إثبات ركن الالتزام بالعمل مع الإقرار في ثبوت الإيمان، وأن الإقرار الخبري لا يكفي وحده، كما تدل القصة على كفر النصارى، وهو دليل على بطلان مذهب المرجئة.

- مشروعية مجادلة أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم، وإثبات النبوة بطرق عديدة منها بشارات الكتب السابقة بنبوته عليه الصلاة والسلام، وهذه المجادلة المشروعة ليست متوافقة مع مشروع الحوار بين الأديان لأنه لا يشمل حواراً دينياً عقدياً بل هو مشروع سياسي للتقريب بين الأديان، واستغلال أتباع الأديان لمآرب سياسية، وتذويب لعقيدة الولاء والبراء.

المصادر والمراجع:

1. الأب متى المسكين، القديس بولس الرسول حياته لاهوته أعماله، (القاهرة، مطبعة دير القديس أنبار مقار، ط1، 1992م).
2. ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرون، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، 1399هـ).
3. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وآخرون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415م).
4. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط3، 1441هـ/2020م).
5. البزار، أبوبكر أحمد بن عمرو بن خلَّاد، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن وآخرون، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، د.ط، 2009م).
6. البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، دلائل النبوة، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ/1988م).
7. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي –الجامع الكبير–، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1439هـ/2018م).
8. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي ابن حسن وآخرون، (الرياض، دار العاصمة، ط2، 1419هـ/1999م).
9. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، د.ط، 1416هـ/1995م).
10. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403م).
11. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ).

12. الجويني، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، الكفاية في الجدل، تحقيق: فوقية محمود، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، 1399م).
13. ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419م).
14. الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1435هـ/2014م).
15. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/ 1993م).
16. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1418هـ/1997م).
17. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ/1995م).
18. الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1415هـ).
19. الدرر السنية، التفسير المحرر للقرآن الكريم سورة آل عمران، (الظهران، مؤسسة الدرر السنية، ط1، 1437هـ/2016م).
20. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: الدكتور رمزي البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م).
21. الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م).
22. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
23. ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: مجموعة من المحققين، (المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1417هـ/1996م).
24. أبو رمان، سامر رضوان، الأبعاد السياسية للحوار بين الديان، (الأردن، دار البيارق، د.ط، 2002م).

25. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبدالكريم الخضير وآخرون، (الرياض، مكتبة المنهاج، د.ط، 1436هـ).

26. سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف الأستاذ الدكتور سعد الحميّد والدكتور خالد الجريسي، (الرياض، دار الألوكة للنشر، ط1، 1438هـ/2017م).

27. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: دار الفكر، (بيروت، دار الفكر، د.ط، 1432هـ/2011م).

28. الشافعي، محمد بن إدريس المكي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1358هـ).

29. آل شملان، مبارك بن مساعد، المباهلة، (مركز تكوين، ط1، 1438م).

30. ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، المصنف، تحقيق: الأستاذ الدكتور سعد بن ناصر الشثري، (الرياض، دار كنوز إشبيليا، ط1، 1436هـ/2015م).

31. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي وآخرون، (القاهرة، دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م).

32. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1994م).

33. الطيالسي، سليمان بن داود الجارود، المسند، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (مصر، دار هجر، د.ط، 1419هـ).

34. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، ط1، 1429هـ/2008م).

35. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، (دار الرشيد، ط1، 1406هـ/1986م).

36. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت، دار المعرفة، 1379م).

37. ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، (دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م).

38. الفراهيدي، الخليل بن أحمد البصري، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي وآخرون، (دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

39. القاضي، أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان، دعوة التقريب بين الأديان، (الرياض، دار ابن الجوزي، د.ط. د.ت).

40. القرني، عبدالله بن محمد، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، (جدة، مركز التأصيل، د.ط، د.ت).

41. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط27، 1415هـ/1994م).

42. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، هداية الحيارى، تحقيق: عثمان ضميرية، (مكة، عالم الفوائد، ط2، 1436هـ).

43. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م).

44. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1441هـ/2019م).

45. محمد عمارة، الإسلام والوحدة القومية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979م).

46. مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط3، 1440هـ/2018م).

47. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، (القاهرة، دار التأصيل، ط1، 1433هـ/2012م).

48. أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: الدكتور محمد رواس وآخرون، (بيروت، دار النفائس، ط2، 1406هـ/1986م).

49. أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1409هـ/1988م).

50. ابن هشام، عبدالملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ/1955م).
51. الهلالي، سليم بن عيد، وآل نصر، محمد بن موسى، الاستيعاب في بيان الأسباب، (الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1425هـ).